ولكن لما كان وجود زوجته الاولى يحول دون ذلك أخذ يفكر في طريقة يتخلص بها منها وفي آخر الامر أوصل اليها كتابا سريا يخبرها فيه أنه قد عاد من سفره وأنه يود مواجهتها في تلك الليلة سراً لسبب يعلمها به متى التقيا . ولم تكن المسكينة تستعد لمثل تلك البشارة المفرحة فما صدقت أن انتصف الليل حتى ذهبت الى محل الملتقى ولما رأت زوجها هجمت عليه تقابله فقابلها بطعنة من خنجره فسقطت ميتة وعاد فرغ البال لاتمام مقاصده الشريرة وعليه فقد حكمت باسم الحكومة الفرنسوية أن يحفظ ادمون في الاشغال الشاقة الى أن تحصل على الاذن السامي في شنقه

وكان الحزن قد أثر شديداً في ميلدا حتى كانت تأخذها نوب عصبية خشي الطبيب عليها منها وكانت لاتجد سلوى وعزاء الا بأوغست فلم يفارق سريرها الى أن شفيت فبقي لها صديقاً صدوقاً ولأبيها ابناً أميناً فقضى حياته عزيزا يفضل الظمأ الشديد على ورود الشراب المبتذل كما قيل

وتجتنب الاسود ورود ماء اذا كنّ الكلاب ولغن فيه

تاريخ ظهور علم الطب

ظهرت في التاريخ العريق في القدم أمراض عديدة توصلنا الى معرفتها من الحفريات التي قام بها المنقبون عن الآثار الذين عثروا على جماجم وهياكل عظمية وجدوا فيها آثار أمراض فتاكة عديدة : كناخرة العظام والاسنان وغيرها كما عثروا على نقص في الجماجم دل على اصابة أصحابها بأمراض نفسية

ذكر هوميروس في أشعاره وذكرت التوراة أيضا الحميات والامراض الوبائية ذات العدوى . وسبق الهنود غيرهم بدرس الظواهر الطبيعية وحاولوا نفع اخوانهم وتخفيف آلامهم بما توصلوا اليه من العلوم والمعارف

عرف الهنود الجراحة وورد في أخبارهم القديمة أنهم قاموا بعمليات جراحية لتحسين أعضاء الجسم الخارجية واستعملوا أدوية مختلفة وعرفوا خواص بعض المعادن والعقاقير وطرق تركيبها فقد عرفوا النطرون والبوريك والصودا والفضة والنحاس وغيرها

وبين الجيل الثامن والتاسع انتقل الطب من الهند مع البوذية الى الصين واليابان والتبت

وفي مصر كان الطب قديما في أيدي الكهنة الذين كانوا يعالجون المرضى في المعابد كل . وكان الهيجين عندهم منزلة سامية يدل على ذلك انظمتهم التي سنوها للحياة والطعام والنوم وغسل الجسم . ووصف الكهنة الصوم لمعالجة بعض الامراض واستعملوا العلاجات السهلة والمتينة واستعملوا اكثر من ٧٠٠ علاج أدخلوها للاجسام بطرق متعددة وأهم من هذا وذاك أن المصريين القدماء عرفوا طريقة حشو الاسنان النخرة بالرصاص

ان مؤسس الطب اليوناني هو اسكولاب المصري وكان عند اليونان الاقدمين عدة مدارس طبية وأهمها وأشهرها مدرسة جزيرة كوس التي درس فيها أبقراط أبو الطب . ولد هذا الرجل العظيم قبل المسيح بنحو اربعمائة سنة وترك بعده مؤلفات طبية عديدة قيمة نقلت الى جميع انحاء العالم . وهو أول من علم طريقة الوقوف على الامراض بواسطة فحص أعضاء الجسم وأول من استعمل الدق أو النقر على الاعضاء والاستماع وهو أول من وضع أساس ظهور علامات الامراض وكذلك أساس سيرها ونهايتها وهو أول من وضع التقارير الطبية عن الامراض . وأعظم من كل هذا أنه وضع أساس الجراحة وكتب عن كسر العظام وتجبيرها وعن الرضوض وغيرها واخراج الصديد (القيح) من الصدر والجوف وأول من وضع أساس الكشط والجلطة فأبقراط له الفضل الاوفر في معالجة كثير من الامراض

أما رومية فانها مدينة بالطب وعلومه الى اسكولاب واصح من ذلك الى تلميذه تيميزون الطبيب الحاذق الذي أنشأ مدرسة للطب ووصف وصفاً دقيقا : البرص والروماتزم وداء الكلب عند الكلاب وعلى عهده استعملت في الطب الهيدروباثيا (المعالجة بالماء) وعولج وشفي بالماء اغسطس قيصر ولكنه لم يعالجه الاطباء بل عبده المعتق « موزا »

وبعد سقوط الامبراطورية الرومانية نهض في الاجيال الوسطى بالطب العرب وبعض القبائل الجرمانية . ان هرون الرشيد وابنه المأمون أسسا في بغداد مدارس للطب ومستشفيات وصيدليات

وابتداء من القرن التاسع أخذوا يدرسون الطب في المانيا وانكلترا وغاليا وضمن هذه الاخيرة فرنسا وبلجيكا وشمال ايطاليا وكان الرهبان يقومون بتدريس هذا الفن

وامتاز القرنان الخامس عشر والسادس عشر في الغرب بانتشار علم الطب ولا سيما أصوله : علم التشريح وقواعد حفظ صحة الاصحاء ومعالجة الامراض وانشاء المستشفيات وعلم تشخيص الامراض واكتشفت في هذا العهد أمراض لم تكن معروفة من ذي قبل مثل : فساد الدم وسعال الاطفال والزهري واستعمل الاطباء دواء الزهري هذا أي الزئبق والزرنيخ وغيرهما وتقدمت الجراحة أيضاً تقدما يذكر

وكان القرنان السابع والثامن عشر عصراً ذهبيا لعلمي التشريح والفيسولوجيا . ثم أن الطبيب الانكليزي هرفي (١٥٧٨ — ١٦٥٨) اكتشف دورة الدم ووضع أساساً للفيسولوجيا العملية

وفي القرن التاسع عشر ثبت الطب على قواعد ثابتة وطرق علمية بلغت درجة قصوى من النجاح والرقي وتلاشت او ضؤلت كثير من الامراض المعدية التي كانت تفتك في الناس فتكا ذريعا . وبفضل اكتشاف الدكتور الانكليزي جينّير لمصل الجدري (١٧٤٩ — ١٨٢٣) اصبح هذا المرض غير خطر بل اصبح لا يخشى بأسه وظهوره احد وقل مثل هذا عن السكوليرا

ومعلوم ان الدفتيريا كانت تفتك بالناس ولا سيما الاطفال فتكا شنيعا ولكن بفضل اكتشاف الطبيبين بيرينغ الالماني وروو الفرنسي لمصلها اصبحت من الامراض التي لا خوف منها وقل مثل ذلك عن الامراض الاخرى السريعة الانتقال بالعدوى مثل التيفوس المعدي (نسبة الى المعدة) والتيفوس البثوري والبارتيفوئيد وحمى الملاريا والاسهال الدموي وغيرها كلها غدت خفيفة الوطأة بواسطة الاكتشافات العلمية واعمها علم البا كتيرولوجيا والاينولوجيا المدين العالم باكتشافهما للعلماء الاعلام باستور وكوخ وليستر وروو وغيرهم .

ان العلامة الجليل باستور (١٨٢٢ — ١٨٩٥) اكتشف البا كتيرولوجيا وتوليدها ونشرها العدوى وأوجد لها علاجات وطرقا لمقاومتها كما اكتشف مكروب

الكلب والقرحة السيبيرية وسل الحيوانات ذات القرون والطيور

ثم أن ليستر (١٨٢٧ — ١٩١٢) اكتفى آثار باستور في اكتشافاته فانه اكتشف الانتيسبتيكا أي الاحتياطات لوقاية الجروح من العدوى بالمكروبات المضرة وذلك باستعمال الاثير والكلوروفورم والازوت والكوكايين وغيرها وهذه العلاجات الواقية فتحت باب الطب على مصراعيه في وجه الجراحة . ثم اكتشف كوخ مكروب السل فاوقف بذلك انتشاره وفتك بالناس ووضع طريقة معالجته على نظام ثابت ناجع . وأما علم الادوية فقد اصبح واسع النطاق لدرجة زائدة جدا

ثم ظهر في الطب بحث تجديد الشباب واعادة القوى المفقودة للناس ولا سيما الشيوخ منهم وقد فتح هذا الباب اولا برأون سيكار وتبعه متشنيكوف والآن يشتغل بهذه المسألة الحاذقة الطبيب النمسوي الشهير شتيناخ والدكتور الشهير الروسي فورونوف

وتوصل الاطباء الى نتائج حسنة بواسطة المعالجة بالطرق الطبيعية أي بالهواء والماء والشمس والكهرباء وأشعة x والراديو والمياه المعدنية والاستحمام بمياه البحار والانهار

وعلماء الطب يبذلون مجهودات عنيفة في تخفيف مصائب الانسانية وانقاذ الناس من الامراض الفتاكة . حيا الله العلم والعلماء

قال ابن خروف يهجو الطبيب الدخوار :

ان الاعيرج حاز الطب أجمعه ... استغفر الله الا العلم والعملا
وليس يجهل شيئاً من غوامضه ... الا الدلائل والامراض والعللا
في حيلة البرء قلت عنده حيل ... بعد اجتهاد ويدري الردى حيلا
الروح تسكن جثمان العليل على ... علاته فاذا ما طبه رحلا

قال سديد الدين رفيقه في أغراض الطب

غرض الطب يا أخا اللب عرفا ... ن مباديه أبدانا والاصول
قبل حالاتها وما توجب الحا ... لات فيها وما لها من دليل
لتدوم الابدان موجودة الصحة منا وذاك بالتعديل